مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٧) العدد (١)
الإصدار الثالث والعشرون
٢٠٢٦ (١-١٥)

التّنمية الرّيفيّة في تونس: الرّهانات والتّحدّيات بئر الحفي مجالا للدراسة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. محمّد العربي جابلي
مخبر المغرب العربي: العمران المتعدّد، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يناير ٢٠٢٦م

*** تقديم**

من المفاهيم الّتي يتمّ تداولها بشدّة في تونس كما في غيرها من بلدان المجتمع النّامي، مفهوم "التّنمية" développement ، ورغم الاستعمالات اليوميّة لهذا المفهوم في خطابات الفاعلين الاجتماعيين، فإنّه بقي في حدود التّداول اللفظي و لم يرتق إلى الطموحات الاقتصادية والاجتماعيّة والصحيّة والتّربوية للمجتمعات المحليّة. وكثيرا ما انحصرت مفاهيم التّنمية عند الأغلبيّة في محاربة التّهميش والفقر والبطالة، في حين أن أدوارها الحقيقيّة تتجاوز هذا التفكير الكلاسيكي وتأخذ منحى الرّقي الاقتصادي والرفاه الاجتماعي والاستقرار السّياسي والتّطوّر الثّقافي والصّحي والتّربوي.

لئن تفطّن الفاعل السّياسي في تونس إلى أهميّة التّنمية الشّاملة في بناء دولة ما بعد الاستقلال، فإنّه صوّب اهتمامه نحو تنمية المناطق الحضريّة وبقيت المناطق الرّيفيّة على هامش استراتيجياته الاقتصاديّة و لم تدخل في حساباته التّنمويّة. لكن إذا نظرنا من زاوية موضوعيّة للخدمات الّتي يقدّمها المجتمع الرّيفي للمجتمع الحضري والمتمثلة خاصّة في تأمين الأمن الغذائي، نفهم أنّ تنمية المناطق الرّيفيّة أصبحت ضرورة ملحّة حتّى يتحولّ هذا الفضاء الموسوم بالاستهلاك والاتّكال إلى قوّة للعمل والإنتاج قد تُسهم في إنعاش الاقتصاد المحلّي وتساعد على إخراجه من ركوده وانكماشه.

إنّ المتابع للتنمية الرّيفيّة في تونس يلاحظ أن هذه الفضاءات لم تدخل بعد في مرحلة ما يعبّر عنه بالتطوّر والإقلاع بسبب التّهميش البنيوي المسلّط عليها منذ عقود رغم ما تمثّله من ثقل ديموغرافي يمكن استثماره لخلق ديناميكيّة اقتصاديّة محليّة. ومن أبرز معوقات التّنمية في المناطق الرّيفيّة، غياب رؤية تنمويّة رصينة توازن بين متطلّبات المجتمع الحضري وحاجيات المجتمع الرّيفي الّذي تعمّقت أزمته بسبب البيروقراطيّة الإدارية والسّياسيّة الّتي عرقلت كلّ المبادرات الاقتصاديّة والاستثماريّة الّتي قد تحوّل هذه الفضاءات المنسيّة إلى فضاءات للفعل والحركة الاقتصاديّة النشيطة.

وإذا أردنا التّعمّق في فهم التنمية الرّيفية في تونس، فإنّنا ننطلق في البحث والتّحليل السوسيو- اقتصادي لهذه الظّاهرة من خلال الاعتماد على التّنمية في سيدي بوزيد

باعتبارها مجالا لهذه الدّراسة الميدانيّة، لاسيّما وأنّ نسبة سكان الرّيف في هذه الجهة تتجاوز ٧٠%، بذلك نكون إزاء مجتمع ريفي يملك من الخصوصيات المجاليّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي تجعل منه مجتمعا قادرا على بناء تنمية ريفيّة مخصوصة رغم العراقيل الإدارية والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

هذا المستوى من الفكر الاقتصادي والاجتماعي الّذي يحمله الفاعلون في المجتمع الريفي في سيدي بوزيد، جعلنا أمام تحدّ لنظريات التّبعيّة ومناقشة مسألة تبعيّة الرّيف للمدينة وارتباطه بها في كلّ الأمور المتعلّقة بالاقتصاد والتّنمية، وإعادة التّفكير في هذه الموضوعات من زاوية نظريات التّحديث والتّنمية المستدامة. حينئذ تقتضي منا هذه الظّاهرة الاقتصاديّة مقاربة كيفيّة نعتمد من خلالها على مناهج الوصف، المقارنة وتحليل المضامين المكتوبة والبصريّة الّتي يفرزها الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتّنموي في سيدي بوزيد باعتباره مجتمعا للدراسة الميدانيّة.

انطلاقا من هذا التصوّر النظري والمنهجي كانت هذه الدّراسة السّوسيو- اقتصاديّة الّتي نطمح من خلالها إلى استجلاء وتحليل المعوقات البنيوية والاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي تواجه التنمية الريفيّة في سيدي بوزيد وكانت سببا في تأخّرها وعدم تطوّرها بالكيفيّة الّتي تلبّي طموحات المجتمع الرّيفي خاصّة والمجتمع التّونسي عامّة. في السّياق نفسه نحاول مساءلة الواقع عن الإمكانات الاقتصاديّة الجيّدة الّتي يوفّرها المجال الرّيفي والاستفادة من كلّ هوامشه الّتي تساعد على إرساء تنمية ريفيّة شاملة ومستدامة، من ذلك الاعتماد على المجامع التّنمويّة المائية، تفعيل دور الجمعيات التّنمويّة في المناطق الرّيفيّة والبنك التّونسي للتّضامن، منح التأشيرات القانونيّة لاستغلال الأراضي الدّوليّة، دعم السّياحة الإيكولوجيّة، استثمار المواقع الأثريّة حتّى تكون جاذبة للسياحة الدّاخليّة والخارجيّة، استغلال والاستثمار في مقاطع الرّخام الرّفيع الجودة.

*** التّأصيل النّظري والخيار المنهجي**

*** إشكاليّة الدّراسة**

إنّ التّناول السّوسيو- اقتصادي للمسائل الهامّة الّتي تمّت الإشارة إليها في مقدّمة هذه الدّراسة – والّتي تعلّقت في جانب منها بمعوقات التّنمية الرّيفيّة في تونس عامّة وفي سيدي بوزيد خاصّة، وتعلّقت في جانب آخر بالحلول المتوفّرة لخلق تنمية ريفيّة تلبّي الطموحات الموضوعيّة لسكّان الرّيف من ناحية وتكون بمثابة الخزّان الّذي يلبيّ متطلّبات المجتمع الحضري من ناحية أخرى- جعلنا نتساءل عن مدى قدرة المجتمع الرّيفي في سيدي بوزيد على تجاوز معوقات التّنمية الريفيّة وبناء تنمية مخصوصة تلبّي دوافعه الموضوعيّة؟

وللإلمام بمختلف الجوانب المحيطة بهذه الإشكالية، طرحنا جملة من الأسئلة الفرعيّة حتّى تكون منطلقا للبحث المعمّق في المسائل الرّئيسيّة الّتي يطرحها موضوع هذه الدّراسة الميدانيّة وتكون اختبارا حقيقيّا لفرضياتها، من ذلك التّساؤل حول طبيعة معوقات التّنمية الريفيّة في سيدي بوزيد، فهل أنّ البيروقراطيّة الإدارية والسّياسيّة كانت سببا رئيسيّا في تخلّف هذا النّوع من التّنمية؟ أم أنّ لفشل مناويل التّنموية العامّة المتّبعة من قبل الفاعل السّياسي دورا كذلك في عدم إقلاعها وتطوّرها؟ وإذا سلّمنا بالحقيقة القائلة بتهميش المجتمع الرّيفي

وإقصائه من كلّ فعل تنموي، هل يحقّ لنا القول بأنّ تغلغل ثقافة الاتّكال وغياب روح المبادرة في المجتمع الرّيفي تعتبر كذلك من الأسباب الّتي جعلته يعاني من التّخلّف البنيوي الدّائم؟ وباعتبار ما يوفّره الرّيف من ثروات طبيعيّة ومساحات زراعيّة ومناطق أثريّة، هل يمكن بناء تنمية ريفيّة شاملة ومستدامه ترتقي إلى طموحات المجتمع المحلّي؟.

*** فرضيات الدّراسة**

١- المجتمع الرّيفي في بئر الحفي قادر على بناء تنمية ريفيّة شاملة ومستدامة.

٢- أسهم الفكر التّنموي المتّبع في تونس في تخلّف التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي.

*** مفاهيم الدّراسة**

١- التّنمية: تعدّ التّنمية من المفاهيم الشّائعة وكثيرة الاستعمال في المجتمعات النّامية على اعتبارها الآلية الوحيدة التي تمكن هذه المجتمعات من مواجهة عوامل التّخلّف، حيث يرتبط تقدم الشّعوب وازدهارها بالفكر التّنموي الذي تحمله وبمدى قدرتها على تحقيق التّنمية الشّاملة. ويعرّفها **ماركس** Marx (١٨١٨- ١٨٨٣) بالعمليّة الثّوريّة الّتي بمقتضاها تحدث تحوّلات شاملة في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية داخل المجتمع.

في حين يعرّفها والت روستو Walt Rostow(١٩١٦- ٢٠٠٣) بعمليّة تخلّي المجتمعات المتخلّفة عن السمات التقليدية وتبنّي الخصائص السائدة في المجتمعات المتقدّمة. ولتحقيق التنمية، تخضع المجتمعات النامية لمبدأ " التّقدم والتّطور" الذي يرتكز حسب رأيه على خمس مراحل أساسية: التّقليد، ما قبل الإقلاع، الإقلاع، النّضج، الحداثة.[1]

أمّا التنمية حسب سارج لاتوش Serge Latouche « تعني في المفهوم العام مستوى عيش ورفاهية للجميع وهي تعني لدى جماهير العالم الثالث بما فيهم روسيا وحليفاتها، قوة استهلاك مماثلة للأمريكي المتوسط الدخل ولدى حكوماتها الدخول إلى نادي البلدان العظمى بامتلاك القنبلة الذرية».[2]

بناء على التعريفات السابقة، نستنتج أن التنمية أصبحت تمثل مفهوما مشتركا بين المجتمعات البشرية المعاصرة، غير أن هذا المفهوم ليس بالثابت ولا بالمتفق عليه، فالكل يتناوله حسب مرجعيته الفكرية. ونعرّف التنمية بعملية التغيير الشاملة والمستمرة، يقوم بها فاعلون لهم من الخبرة ما يمكنهم من معالجة جميع مواطن الضعف في جل القطاعات والمجالات سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية أم ثقافية، وتنبني التنمية على تخطيط محكم يرمي إلى تحقيق أهداف محددة سواء على مستوى الفرد أو المجموعة.

وتمثل التنمية في دولة ما المؤشر الوحيد الذي بواسطته تصنف المجتمعات إلى مجتمعات متقدمة وأخرى متخلفة. فهي عملية واعية وموجهة يقوم بها أفراد المجتمع الواحد بهدف التوصل إلى تغيير شامل يرتقي بالمجتمع إلى

[1] Rostow, W.W, The Stages of Economic Growth: A Non- Communist Manifesto, Cambridge University Press, Cambridge, 1960, p-p. 4-15.

[2] : Latouche, Serge, La déraison de la croissance Les mythes de l'économie et les mirages de développement, Albin Michel, Paris, 2003, p. 45.

مستوى المجتمعات المتحضرة. وتعتمد المجتمعات على أنواع عدة من التنمية، منها التنمية الشاملة والتنمية المستدامة والتنمية المتكاملة أو المندمجة والتنمية المتخصصة والتّنمية الريفيّة.

نشير في هذا الصدد إلى أن التنمية هي مسألة في غاية التعقيد، خاصة في دول العالم الثالث ومن بينها تونس، حيث مازالت تطرح العديد من الإشكاليات والتساؤلات حول مفاهيم التنمية الوطنية والتنمية الجهوية والتنمية المحلية. فقد اختلفت الرؤى حول مشروعية اعتبار التنمية مسارا ينطلق من هرم السلطة في اتجاه المجتمع المحلي مرورا بالجهوي أو العكس.

٢- التّنمية الرّيفيّة: يعرّف البنك الدولي التنمية الرّيفيّة على أنّها استراتيجيّة شاملة تهدف إلى تحسين الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والصحيّة والتّربوية لسكّان المناطق الرّيفيّة.[٣] وهي كذلك عمليّة قصدية تهدف إلى تحقيق آثار إيجابيّة أوسع تتمثّل في تطوير الموارد المتاحة، وبناء البنية التّحتيّة، وتبنّي تقنيات إنتاج مبتكرة تستفيد منها الفئات المهمّشة والفقيرة.[٤] كما اعتبرها البعض عمليّة تغيير متوازنة تشمل جميع القطاعات المشكّلة للحياة في الرّيف.[٥]

ونعرّف التّنمية الريفيّة بعمليّة النهوض بالمجتمع الرّيفي والاستفادة من كلّ العناصر الّتي تدعم حاجياته من الصّحة والتّعليم والبنية التحتية. فهي بناء هادف إلى تحقيق العدالة المجاليّة من خلال رفع المستوى المعيشي لسكّان الرّيف والاستفادة من كل الموارد الطبيعيّة الّتي يوفرّها هذا المجال.

*** منهج الدّراسة**

نظرا لوعينا التّام بخصوصية التّنمية الرّيفيّة وبتعقيدات دراستها وصعوبة مقاربتها لما تمثّله من ظاهرة متعدّدة الأبعاد، إذ تتشابك في إطارها الوقائع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، وتتداخل فيها الدّوافع الموضوعيّة بالمبادرات الذّاتيّة،[٦] نعتمد في دراستنا السّوسيو- اقتصاديّة للتّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي على المناهج التّالية: -

١- **المنهج الكيفي:** من أجل التّعمّق في فهم ظاهرة التّنمية الرّيفيّة والإحاطة بمختلف جوانبها من خلال الاعتماد على تقنيات جمع المعطيات الميدانيّة (المقابلات، الملاحظة العلميّة المباشرة، التّحليل البصري...).

٢- **المنهج التّاريخي:** تتبّع تطوّر التّنمية الرّيفيّة وفهم التّحوّلات الّتي شهدها المجال الرّيفي وأثّرت في بنيته الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّنمويّة. حينئذ يمكّننا هذا المنهج من تقييم مناويل التّنمية الّتي اعتمدتها تونس منذ الاستقلال إلى الآن.

البنك الدّولي، التّنمية الرّيفيّة، ورقة عمل قطاعيّة، إعداد مجموعة من خبراء البنك، ١٩٧٥، ص. ٠٤.[٣]

[4] محمود سامي نابي وآخرون، التّنمية الريفيّة والهجرة: تحليلات ورؤى للدول العربيّة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، قسم البرامج والسّياسات، ٢٠٢٥، ص. ٠٤.

[5] رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، علم الاجتماع الرّيفي، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣، ص. ٢٣٣.

[6] Zihisire, Modeste Muke, La recherche en sciences sociales et humaines, guide pratique, méthodologie et cas concrets, Paris, Harmattan, 2011, p. 25.

٣- **المنهج الوصفي- التّحليلي:** وصف واقع التّنمية الريفيّة في بئر الحفي وتحليل مكوّناتها الاقتصاديّة وبنيتها التّحتيّة وظروفها الاجتماعيّة (الصحّة، التّعليم، البطالة، الفقر...).

٤- **المنهج التّشاركي:** فهم واقع التّنمية في بئر الحفي من خلال إشراك المجتمع الرّيفي في تحديد مشاكله واقتراح حلول موضوعيّة تساعد على تحقيق طموحاته الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّنمويّة.

٥- **المنهج الكمّي:** يمكّننا هذا المنهج من قياس مستوى التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي وتقييمها من خلال البيانات الرّقميّة والإحصائية الرّسميّة المرتبطة بنسب التّمدرس، المؤشرات الصحيّة، الفقر، البطالة، المشاريع التّنمويّة.

*** الخيارات المنهجيّة للدّراسة**

إنّ التّحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة الجذريّة الّتي يشهدها المجال الرّيفي في بئر الحفي في العقود الأخيرة، جعلتنا نصوّب اهتمامنا في دراسة ظاهرة التّنمية الرّيفيّة إلى النظرّيات الحديثة الّتي تجعل من التّنمية عمليّة مستدامة وتشاركيّة تقوم أساسا على الرّأس المال الاجتماعي.

١- **التّنمية المستدامة** (إغناس ساشس Ignacy Sachs (١٩٢٧- ٢٠٢٣)، هرمان دالي Herman E. Daly (١٩٣٨- ٢٠٢٢)، باربرا وارد Barbara Ward (١٩١٤- ١٩٨١): تجمع بين العدالة الاجتماعيّة، التّنمية الاقتصاديّة وحماية البيئة، وتركّز على الاستغلال الرّشيد للثّروات الباطنيّة والموارد الطّبيعيّة الموجودة في المناطق الرّيفيّة، والاعتماد على الطاقة المتجدّدة كرهان للتنمية الريفيّة الشّاملة.

٢- **نظريّة المشاركة المجتمعيّة** (باولو فرير Paulo Freire (١٩٢١-١٩٩٧)، روبرت تشامبرز Robert Chambers، جون فريدمان John Friedman): يمكن أن نُطلق عليها نظريّة المشاركة القاعديّة نظرا لتركيزها على ضرورة الانطلاق من مقترحات السّكان المحلّيين لبناء تنمية ريفيّة تستجيب لدوافعهم الموضوعيّة.

٣- **نظريّة الرّأس مال الاجتماعي** (بيير بورديو Pierre Bourdieu (١٩٣٠-٢٠٠٢)، جيمس كولمان James Coleman (١٩٢٥- ١٩٩٥)): المراهنة على الرّأس المال الاجتماعي الّذي يتميّز به الرّيف من أجل التّعاون بين فواعله بهدف تحقيق التّنمية الرّيفيّة (جمعيات وتعاونيات تنمويّة يشارك فيها سكّان الرّيف).

٤- **نظريّة ما بعد التّنمية** (آرتور إسكوبار Arturo Escobar، سارج لاتوش Serge Latouche): تركّز على الاستقلاليّة والاعتماد على الموارد الذّاتيّة من أجل بناء تنمية ريفيّة مخصوصة تقطع مع التّبعيّة للآخر وتتجاوز هيمنة النّموذج الغربي في مجالات الثّقافة والاقتصاد والتّنمية.

*** البحث الميداني: المعطيات والنّتائج**

*** مجال البحث الميداني وتقنياته**

١- مجال البحث: (بئر الحفي)

بئر الحفي معتمدية تابعة لولاية سيدي بوزيد، استمدّت تسميتها الحالية حسب الروايات التي تتناقلها الأجيال المتعاقبة إلى كثرة منابع المياه بهذه المنطقة التي وصلت الألف عين، ومن ذلك اشتق اسم بئر الحفي من ألف حي،

حيث وقع تحريفها من أصل التسمية "ألف بئر الحي" لتصبح "بئر الحفي".

تمسح هذه المعتمدية ٥٣٢٧٩ هكتارا، وبلغ عدد سكانها ٤٢٠٠٩ ساكنا سنة ٢٠٢٣[٧]. تحدها شمالا معتمدية سيدي بوزيد الغربية وغربا حاسي الفريد (القصرين) وجنوبا معتمدية سيدي علي بنعون وشرقا معتمدية منزل بوزيان. وتضمّ أريافها ثروات طبيعيّة وأثريّة وسياحية هائلة، إلى جانب امتلاكها إمكانيات فلاحيّة ورعويّة مهمّة.

المصدر: المندوبيّة العامة للتنمية الجهوية – ولاية سيدي بوزيد

٢- تقنيات جمع المعطيات من الميدان

١- المقابلة نصف الموجّهة: تعدّ المقابلة من أبرز التّقنيات الّتي تمّ اعتمادها في هذه الدّراسة الّتي اهتمّت بالتّنمية المحليّة في بئر الحفي. وتبرز أهمّيتها في تمكين الباحث من التّفاعل مع المبحوثين وبناء حوارات جادّة يكون هدفها الأساسي الحصول على معلومات ومعطيات كيفيّة تساعد على فهم هذا النوع من التنمية وتجيب بطريقة موضوعيّة عن الأسئلة المرتبطة بها، لا سيّما تلك الّتي تعلّقت بمقوّمات ومعوقات تطوّرها.

وقد اعتمدنا تقنية المقابلة نصف الموجّهة،[٨] نظرا لأهمّية المعلومات والمعطيات التي توفّرها هذه التّقنية الّتي تمكّن الباحث من توجيه المبحوث نحو أسئلة المقابلة ومحاورها الأساسيّة وفي نفس الوقت تسمح له بهامش من الحريّة في التّوسّع في إجاباته والتّعبير عن آرائه من أجل الاستفادة من كلّ الهوامش الّتي قد تكشف عن معطيات ومعلومات إضافيّة تثري الزّاد المعرفي للباحث حول ظاهرة التّنمية المحليّة في بئر الحفي.

من الموكّد أنّ المقابلة هي عمليّة قصديّة تهدف إلى بناء معرفة موضوعيّة تتّصل أساسا بالمسائل الّتي أثارتها هذه الدّراسة السّوسيو- اقتصاديّة، لذلك طرحنا جملة من الأسئلة لتكون محدّدات أساسيّة تضمن بلوغ المقابلة لأهدافها الرّئيسيّة: من هو المبحوث المقصود؟ ما هي المحاور الرّئيسيّة الّتي سيتمّ التطرّق إليها في هذه المقابلة العلميّة؟

٢- تحليل المشاهد البصرّية/ تحليل المضمون المكتوب: يُعدّ التّحليل البصري من أقدم الأساليب البحثيّة الّتي بدأت مع عالم الاجتماع الأمريكي هارولد لاسويل Harold Lasswell (1902-1978) الّذي اهتمّ بدراسة تأثير وسائل الإعلام في توجيه الرأي العامّ الأمريكي، ثمّ تطوّر استخدام هذه التّقنية في الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة نظرا لما توفّره هذه التّقنية من معلومات

٧ المعهد الوطني للإحصاء (٢٠٢٣).

8 Guibert, Joë, Guy Jumel, Méthodologie des pratiques de terrain en sciences humaines et sociales, Édition : Armand Colin, Paris, 1997, p - p. 100-103.

كيفيّة وبيانات كميّة تساعد الباحث على الإجابة الموضوعيّة عن الأسئلة الّتي تطرحها الظّاهرة المدروسة. [9]

وباعتبار أنّ تحليل المضمون البصري هو عمليّة معقّدة نسبيا تتطلّب الدّقة في التّعامل مع محتوى متحرّك (مهرجانات ثقافيّة، تجارة موازية...)، فإنّ الباحث يكون مطالبا بالدّقة في التّعامل مع هذه المضامين الّتي تحمل دلالات مكشوفة بإمكانه تحليلها وتفسيرها دون صعوبة ودلالات خفيّة يحاول كشفها من خلال التّحليل البنيوي للمشاهد الميدانيّة وتأويل معانيها.

كما تساعد تقنية تحليل المضمون المكتوب الباحث على جمع بيانات كميّة ومعطيات كيفيّة يفهم من خلالها واقع التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي، ويتعرّف كذلك على مصداقيّة خطاب الفاعل الاجتماعي وعلاقته بالفعل والممارسة التّنمويّة في الفضاء الرّيفي. هذا المستوى من الفهم السوسيو-اقتصادي لظاهرة التّنمية في الوسط الرّيفي جعلنا نستخلص جملة من الاستنتاجات العلميّة الّتي تكون بمثابة الإجابة الموضوعيّة على التّساؤلات الّتي يطرحها واقع التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي.

*** عرض المعطيات الميدانيّة وتحليلها**

١- مقوّمات التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي: من أبرز المسائل الّتي انشغل بها المجتمع الرّيفي في بئر الحفي مسألة التّنمية باعتبارها السّبيل الوحيد لتحقيق طموحاته البسيطة المتمثّلة خاصّة في تأمين معيشه اليومي، سهولة تنقّله بين المزارع والحقول وخلق توازن تنموي بين الرّيف والمدينة يكون دافعا حقيقيّا لتحويل المناطق الرّيفيّة من مناطق منسية قائمة على الاتّكال والاستهلاك إلى مناطق منتجة للثّروة، لا سيّما وأنّ المجال الرّيفي في بئر الحفي يضمّ كلّ المقوّمات الأساسيّة لبناء تنمية محليّة مستدامة، من ذلك الثّروة الدّيموغرافيّة (نسبة سكّان الرّيف تتجاوز ٧٠%، ارتفاع نسبة الرّيفيون في سن العمل ...)، الباطنيّة والطّبيعيّة (مقاطع الرّخام الرّفيع الجودة، حقول الحلفاء، الأعشاب الطبيّة ...)، الأثريّة (أكثر من ٣٥ موقع أثري) والمائية (مائدة مائيّة معتبرة في بئر الحفي).

*** التّركيبة الدّيموغرافيّة قوّة دافعة لتحقيق التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي**

شكّلت التّركيبة الدّيموغرافيّة في المجتمع الرّيفي في بئر الحفي قوّة حقيقيّة لدفع التّنمية الرّيفيّة، لا سيّما وأنّها تغلب عليها الفئات العمريّة لمن هم في سنّ العمل (من ٢٠ سنة إلى ٦٥ سنة)، الأمر الّذي يحوّل هذا المجتمع من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع فاعل قادر على إنتاج الثّروة وعلى المساهمة في بناء التّنمية الرّيفيّة المستدامة.

ولا يخفى الدور الذي يمكن أن يلعبه الشّباب في النهوض بالمجتمع الرّيفي خاصّة إذا اعتبرناه مكوّنا من المكوّنات الرّئيسيّة في بناء تنمية ريفيّة مستدامة ووفرّنا له كلّ ما يحتاجه من دعم مادّي ومعنوي. في هذا السّياق يقول (ع. س. ج، ٢٧ سنة): « لا يمكن أنّ نحقّق التّنمية المحليّة في معتمدية بئر الحفي كما في غيرها من المناطق الأخرى دون استغلال الثّروات الدّيموغرافيّة والطّبيعيّة والأثريّة الّتي تنفرد بها الأرياف. وقد لا نجانب الحقيقة عندما نقول أنّ أزمة التّنمية في تونس ناجمة بالأساس عن السّياسات التّنموية الفاشلة الّتي

[9] سمير محمّد جسين، تحليل المضمون، عالم الكتاب، ط ١، القاهرة، ١٩٨٣، ص. ٥٤.

انتهجت الاستبعاد اللاإرادي لشباب المناطق الرّيفيّة وحرمانهم من ممارسة أدوارهم في تحقيق التّنمية الرّيفيّة المستدامة ».

تُعدّ اليد العاملة النّشيطة في أرياف بئر الحفي من أبرز محرّكات التّنمية الريفيّة واستدامتها، فالتّعاون الحاصل بين الذّكور والإناث خلق استمراريّة في الإنتاج الفلاحي والزّراعي ممّا دعّم الاقتصاد المحلّي وحقّق نوعا من العدالة التّنموية الّتي يطمح إليها المجتمع الرّيفي.[١٠] وقد كشف البحث الميداني في المناطق الرّيفيّة التّابعة لبئر الحفي عن رغبة الشّباب في ريادة الأعمال وبعث المشاريع الفلاحيّة والتّنموية الّتي تعتمد على الطاقة المتجدّدة وعلى شبكات الرّي العصريّة، حينئذ تصبح هذه الشّريحة من المجتمع الرّيفي قوّة للإنتاج والإنتاجية وعاملا محفّزا على بناء تنمية ريفيّة مستدامة.

بناء على ما تقدم، ندرك أن التّفاوت التّنموي والاقتصادي بين المدينة والرّيف قد خلق فاعلين جدد nouveaux acteurs من الشّباب الرّيفي المشبع بثقافة العمل والسّاعي إلى تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المناطق الرّيفيّة رغم العراقيل الإدارية وغياب الدّعم المادّي والمعنوي.[١١] فالبنى في هذه الحالة لا تحد من الفعل الفردي بل تعطيه زمام المبادرة والخلق والإبداع. ونستحضر في هذا السياق مفهوم **"الفرد العقلاني"** عند ريمون بودون Raymond Boudon (١٩٣٤- ٢٠١٣)، والذي يرى أن الفرد يتبنى سلوكا عقلانيا حينما يصبح **"فاعلا اجتماعيا"** acteur social، وهذا ما يسعى إليه سكّان المناطق الرّيفيّة قصد تعزيز مكانة العون الاجتماعي l'agent social ودوره في المجال الاقتصادي. وهي استراتيجية جديدة تهدف إلى الاستفادة من الطاقات الشبابية والدّفع بهم نحو بناء تنمية ريفيّة مخصوصة تستجيب لطموحات المجتمع الريفي.

*** المواد الإنشائيّة- الباطنيّة كرافد للتنمية الرّيفيّة في بئر الحفي**

تمثّل الثّروات الباطنيّة – الإنشائية (الرّخام، الجبس، الطّين) الّتي تمتلكها ورغة ورحال رافدا مهمّا للتنمية الرّيفيّة في بئر الحفي، لا سيّما وأنّ مقاطع الرّخام الرّفيع الجودة تمتد على أكثر من ١٨٠ هكتارا، في حين توجد بقيّة المواد مثل الجبس والطّين في جبلي فوفي" و"كاف النسور" بكميّات كبيرة جدا.

*** مقاطع الرّخام في منطقة رحال- بئر الحفي، صور فوتوغرافيّة خاصّة بهذه الدّراسة.**

إنّ الاستغلال المدروس لهذه الثّروات الباطنيّة واستثمار عائداتها الماليّة في بناء بنية تحتيّة جيّدة ترفع من مستوى المعيشة لسكّان المناطق الرّيفيّة في بئر الحفي، وتساهم في خلق ديناميكيّة اقتصاديّة تُخرج الاقتصاد المحلّي من ركوده

-

[11] Rabah Nabli , Les entrepreneurs tunisiens, La difficile émergence d'un nouvel acteur social, L'harmattan, 2008, p.p. 5 - 14.

وانكماشه وتتيح فرصا أمام الشّباب الرّيفي في بعث مشاريع تنمويّة تراعي خصوصيات المنطقة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة وترتكز على المواد الإنشائيّة مثل الرّخام والجبس والطّين.

ونشير إلى أنّ نوعيّة الرُّخام الموجود في منطقي رحال وورغة تُعدّ من أفضل الأنواع الموجودة في العالم، وتتوزّع بين الرُّخام الوردي الملكي marbre rose royale وهي من الأنواع النّادرة، الرُّخام البنّي- الوردي marbre veiné- rose والرُّخام الأبيض marbre blanc، حينئذ نكون أمام مقوّمات فعليّة قادرة على تنمية المناطق الرّيفيّة من خلال إحداث وحدات صناعيّة – تحويليّة متوسّطة وصغرى للرّخام ولبقيّة المواد الأخرى الّتي يزخر بها ريف بئر الحفي على غرار الجبس والطّين. فالاستثمار الجيّد لهذه الثّروات قد يحوّل المناطق الرّيفيّة من مناطق مهمّشة ومنسية إلى مناطق منتجة للثروة.

*** دور السّياحة الثّقافيّة والإيكولوجية في تحقيق التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي**

يعدّ التّراث المادّي – المتمثّل في المعالم الأثريّة الممتدّة على مساحات شاسعة في أرياف بئر الحفي (٣٥ موقعا أثريّا)- والرّمزي – المتمثّل في العادات والتّقاليد والفنون الشّعبيّة والمهرجانات المحليّة- مدخلا مهمّا لفهم الأدوار الّتي يمكن أن تلعبها السّياحة الثّقافيّة في تحقيق التّنمية الرّيفيّة في تونس عامّة وفي بئر الحفي خاصّة. وعند الحديث عن السّياحة الثّقافيّة، لا بدّ من التّطرّق إلى المعالم الأثريّة في ورغة، رحال، السّلامة، المزارة وغيرهم من المناطق الرّيفية الأخرى وكيفيّة الاستفادة منها من أجل إحياء التّراث المحلّي وتحويله إلى رافد من روافد التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة.

*** عيّنة من المواقع الأثريّة في ورغة – بئر الحفي، صور فوتوغرافيّة خاصّة بهذه الدّراسة.**

إلى جانب أهميّة المعالم الأثريّة، تلعب المهرجانات الثّقافيّة دورا كبيرا في تنشيط السّياحة الثّقافيّة في المناطق الرّيفيّة في بئر الحفي، حيث تتعدّد هذه المهرجانات الّتي ترتبط بخصوصيّة كلّ منطقة وأصبحت وجهة سياحيّة مفضّلة للعديد من الزّائرين من داخل تونس وخارجها (المهرجان الوطني المقدّم الطيّب برحال، مهرجان سيدي عسكر بالسّلامة، مهرجان سيدي صالح بأولاد يوسف ...).

*** المهرجان الوطني المقدّم الطيّب رحال – بئر الحفي، صور فوتوغرافيّة خاصّة بهذه الدّراسة.**

إضافة إلى المخزون الثّقافي المميّز الذّي تملكه المناطق الرّيفيّة في بئر الحفي، فإنّها تعدّ من أبرز المناطق الغنيّة بغاباتها وواحاتها وسهولها الخضراء وعيونها الجارية، الأمر الذّي جعلها

فضاءات جاذبة للزائرين من محبّي الطبيعة والباحثين عن الهدوء والسّكينة. فالاستغلال المدروس لهذه الأماكن الطّبيعيّة قد يعزّز من فرص بناء تنمية ريفيّة مستدامة تقوم على الرأس المال البيئي والسّياحي.

*** المعالم الأثريّة- التّاريخيّة والمشاهد الطّبيعيّة- السّياحيّة في منطقتي رحال وورغة، صور فوتوغرافيّة خاصّة بهذه الدّراسة.**

في علاقة بكلّ ذلك، تصبح السّياحة الثّقافيّة والإيكولوجية من أبرز العناصر الّتي تقوم عليها التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي، حينئذ يكون بالإمكان الانتقال بالمجال الرّيفي من حالة التّهميش والتّبعيّة إلى فضاء أكثر ديناميكيّة وفاعلية يلبّي المتطلّبات الأساسيّة للمجتمع المحلّي ويضمن استقراره الاقتصادي والاجتماعي ويحافظ على هويّته الثّقافيّة.

*** الجمعيات المائيّة كمحرّك للتنمية الرّيفيّة في بئر الحفي**

تعتبر الجمعيات المائية من أبرز محرّكات التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي باعتبار مسؤوليتها على إدارة الموارد المائية في المناطق الرّيفيّة. وتعمل هذه الجمعيات في إطار العمل التّشاركي مع بقيّة الفاعلين في المجتمع المحلّي من أجل تحقيق أهدافها المرتبطة أساسا بالتّنمية الرّيفيّة الشاملة والمستدامة. وتعدّ هذه الجمعيات من الرّكائز الأساسيّة الّتي يعتمد عليها سكّان الرّيف لممارسة أنشطتهم الفلاحيّة والزّراعيّة الّتي تدعم الاقتصاد الرّيفي في بئر الحفي.

*** نماذج من الزّراعات المروية عن طريق الجمعيات المائيّة، صور فوتوغرافيّة خاصّة بهذه الدّراسة.**

من خلال الدّراسة الميدانيّة للمجمع التّنموي الفلاحي "البركة" بالنوايل- بئر الحفي، تبيّن أنّ حوكمة الجمعيات المائية والاعتماد على التّقنيات التّكنولوجيّة الحديثة وعلى الذكاء الاصطناعي في إدارتها وتسييرها يرفع من مستوى قدرتها على تحقيق الدّوافع الموضوعيّة للتّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي: -

١- التّوزيع العادل والمنتظم للثروة المائيّة بين سكّان المناطق الريفيّة (الشّرب، الرّي ...).

٢- الدّعم المتواصل للأنشطة الفلاحيّة المحليّة (الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي).

٣- تشجيع الشّباب على بعث مشاريع فلاحيّة والاستقرار في الرّيف (مقاومة الهجرة الدّاخليّة).

٤- المحافظة على التّوازن البيئي ومقاومة التّصحّر(حماية البيئة).[١٢]

٥- الرّفع من مستوى المعيشة في الأرياف والمساهمة في تقديم الخدمات الأساسيّة للمجتمع الرّيفي.

لكن رغم ما حقّقته التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي في السّنوات الأخيرة من تطوّر متواضع في مجالي الاقتصاد والفلاحة، البنية التّحتيّة والخدمات الموجّهة لسكان المناطق الرّيفيّة، ورغم توفّر العديد من المقوّمات المشجّعة على التّنمية، فإنّ العديد من العوائق والتّحديات حالت دون تحقيق تنمية ريفيّة شاملة ومستدامة في بئر الحفي.

*** معوقات التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي**

لئن حاول الفاعل الاجتماعي في بئر الحفي النهوض بالمجال الرّيفي من خلال تحسين البنية التّحتيّة وتقديم بعض الخدمات الأساسيّة وتنشيط الاقتصاد المحلّي، فإنّ هذه المحاولات لم تحقّق الأهداف الرّئيسيّة للتنمية الرّيفيّة و لم ترتق إلى طموحات المجتمع الرّيفي الذّي يأمل في تنمية شاملة ومستدامة. وقد كشف البحث الميداني عن أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى تأخّر التنمية الريفيّة في بئر الحفي، نذكر منها: -

١- التّنمية الرّيفيّة: غياب ثقافة المبادرة وبروز ثقافة الاتّكال

لا يمكن أن تتحقّق التّنمية في المناطق الرّيفيّة أو الحضرية دون فهم وظيفتها ومقاصدها واستحضار آليات تحقيقها. فقد كشف البحث الميداني في أرياف بئر الحفي أنّ المجتمعات الرّيفيّة بجميع أطيافها التي من المفترض أن تكون العناصر الفاعلة في عملية التّنمية لم تكن واعية بأنّ التّنمية المحلّية هي عمليّة مشتركة تتوحّد فيها جهود المجتمع المحلّي مع مجهودات الدّولة.

وعند إثارة موضوع التّنمية مع الفاعلين في المجتمع الرّيفي في بئر الحفي، تبيّن أنّ تمثّلاتهم لمسألة التّنمية غير موضوعيّة، إذ يرى أغلبهم أنّ الدّولة هي الفاعل الرّئيسي والوحيد الذي يتحمّل مسؤولية التّنمية الرّيفيّة الشّاملة، هذا ما يفسّر الحضور القويّ لثقافة الاتّكال والاعتماد الكلّي على الدّولة التي نصّبت نفسها منذ الاستقلال دولة الرّعاية الاجتماعيّة وتغافلت على أنّ تنمية المجتمعات المحلّية وتطوّرها يرتبط أساسا بمشاركة جميع الفاعلين دون استثناء.

حينئذ نفهم أنّ تأخّر التنمية الرّيفيّة وتخلّفها يعود بالأساس إلى غياب فكر تنموي جاد يقطع مع ثقافة الاستهلاك والاتّكال الكلّي على الدّولة ويخلق جيلا من الشّباب يكون قادرا على الاستفادة من كلّ الهوامش الّتي يوفّرها الفضاء الرّيفي من أجل التّأسيس لثقافة الإنتاج وخلق الثّروة.

[١٢](م.ن، ٥١ سنة، رئيس المجمع التّنموي الفلاحي "البركة- النوايل، بئر الحفي)، تمّت مقابلته في إدارة المجمع التّنموي يوم ٧-١٠-٢٠٢٥، الساعة العاشرة صباحا.

٢- **العوائق الاقتصاديّة:** إنّ أزمة التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي ناجمة عن انعدام توفر البنية التّحتيّة والخدمات اللّوجستيّة القادرة على بناء نسيج اقتصادي- استثماري يعود بالمنفعة على سكّان المناطق الرّيفيّة. ذلك أنّ استغلال الطّرقات التّرابيّة والمسالك الفلاحيّة الضيّقة، ضعف شبكات الماء والكهرباء والاتصال ونقص المعدّات العصريّة المستخدمة في الزّراعات الفلاحيّة، كلّها معيقات فعليّة اصطدم بها الفعل التّنموي في المناطق الرّيفيّة وحالت دون تحقيق مطالب المجتمع المحلّي المتمثّلة في تنمية شاملة تقلّص من حجم الهشاشة الاقتصاديّة، الاجتماعيّة، الصحيّة والتّربوية في المجال الرّيفي.

٣- **البيروقراطيّة الإدارية:** لئن نظر ماكس فيبر Max Weber (١٨٦٤- ١٩٢٠) للبيروقراطيّة على أساس أنّها جملة من المبادئ والقوانين التي تنظّم الفعل الإداري، فيتمّ توزيع الأدوار وتحديد المسؤوليات وأن يكون العمل في إطار الهرم الإداري العامّ (التّسلسل الإداري) خدمة للمصلحة العامّة، فقد خالفه المنظّر السّياسي البريطاني هارولد لاسكي Harold Laski (١٨٩٣- ١٩٥٠) والسّوسيولوجي الفرنسي ميشيل كروزي Michel Crozier (١٩٢٢- ٢٠١٣) واعتبرا أنّ البيروقراطيّة نظام حكومي يمكّن العون الإداري من صلاحية كاملة في تطبيق القوانين والمراسيم الإداريّة دون مرونة ممّا ينتج عنه ظواهر خطرة تفقد الإدارة مصداقيتها، من ذلك بروز ظاهرة العنف المعنوي النّاجم عن التّعقيدات الإداريّة والمماطلة في تقديم خدماتها لطالبي الخدمة الإداريّة.[١٣]

رغم وعي الفاعلين الاجتماعيين بأنّ التّطور الاقتصادي والاجتماعي بمرتبط بمدى فاعليّة الإدارة وشفافيتها، فقد غاب عنهم أن التّمركز المفرط للإدارة في تونس قد شكّل بيئة ملائمة لانتشار الفساد الإداري وبروز ظواهر اجتماعيّة وإداريّة خطرة مثل الرشوة والمحسوبيّة، تبعا لذلك أصبحت الإدارة عاملا منفّرا للشّباب المهتمّ بريادة الأعمال والاستثمار في المجال الفلاحي في أرياف بئر الحفي.

فرغم اعتبار أنّ الإدارة مؤسّسة اجتماعيّة بالأساس، فإنّها تنتج واقعا اجتماعيا يتفاعل داخله العديد من الفاعلين منهم الإداري والسّياسي والاقتصادي والثّقافي والاجتماعي، وهذه التّفاعلات محكومة بنسق تنظيمي للإدارة عبّر عنها ماكس فيبر بالنماذج المثاليّة للسّلطة. لكن الواقع أثبت وضعا مغايرا في طريقة اشتغال الإدارة التّونسيّة لا سيّما في المناطق الرّيفيّة التي تعيش في ظلّ بيروقراطيّة إدارية لكن بمفهومها السّلبي الذي اقترن بظواهر الرّشوة والمحسوبيّة واستغلال السّلطة لتحقيق أهداف شخصيّة.

من هنا نفهم الدّور الذي لعبته البيروقراطيّة الإداريّة في جعل المناطق الرّيفيّة تعيش تخلّفا تنمويّا شاملا عمّقته التّعقيدات الإداريّة وسلوكيات الفاعلين الإداريين غير المسؤولة (الرّشوة والمحسوبيّة) الّتي نفّرت أصحاب رؤوس الأموال المحليّة من بعث مشاريعهم الاستثماريّة في مجالات

[13] Crozier, Michel, Les relations de pouvoir dans un système d'organisation bureaucratique, Textes réunis par Pierre Birnbaum et François Chazel (Sociologie politique, t.1), Librairie Armand Colin, Paris, 1971, p.p. 15 – 24.

المواد الإنشائية – الباطنيّة (الرّخام، الجبس، الطّين) والسّياحيّة والفلاحيّة، وحرمت المجتمع المحلّي من تنمية ريفيّة شاملة.

*** نتائج الدّراسة الميدانيّة: العرض والنّقاش**

شكّلت المناطق الرّيفيّة في بئر الحفي منطلقا أساسيا للبحث في ظاهرة التّنمية الرّيفيّة، فحاولنا إخضاعها للبحث السّوسيولوجي في أبعاده البحثيّة والتّحليليّة والتأويلية المرتبطة أساسا بالإشكاليّة الرّئيسيّة الّتي أثارها موضوع هذه الدّراسة. وفيما يلي حوصلة لأهمّ النّتائج الّتي أجابت بطريقة موضوعيّة عن الإشكاليّة الرّئيسيّة وعن الأسئلة الفرعيّة المتّصلة بها ومثّلت اختبارا حقيقيّا لفرضياتها.

إنّ دراسة التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي تبدأ من البحث في دعائمها الّتي يوفرّها المجال، وقد تبيّن أنّنا إزاء فضاء غنيّ جدا بثرواته الطبيعيّة ومواده الباطنية غير المستغلّة وتراثه المادّي والرّمزي وغطائه الغابي والنباتي المتنوّع، على هذا الأساس نقرّ بصحّة الفرضيّة الأولى القائلة بقدرة المجتمع الرّيفي على بناء تنمية ريفيّة شاملة ومتكاملة ومستدامة، لا سيّما إذا تخلّص سكّان الرّيف من ثقافة الاتّكال وانخرطوا في ثقافة الإنتاج والتّعويل على الذّات.

وقد قادنا البحث الميداني في مسألة الثّروات الموجودة في أغلبية المناطق الرّيفيّة في بئر الحفي إلى حقيقتين اثنتين: تمثّلت الأولى في فشل السّياسات التّنمويّة المحليّة في استثمار هذه الثّروات من أجل خلق ديناميكيّة ثقافيّة واقتصاديّة في بئر الحفي تعود بالمنفعة على المجتمع المحلّي. أمّا الحقيقة الثّانية فتمثّلت في عدم المحافظة على هذه الثّروات الّتي يقعها نهبها من طرف فاعلين من داخل منطقة بئر الحفي ومن خارجها.

فنحن إزاء استتراف عشوائي لمقاطع الرّخام والعبث بالأثار الموجودة في رحال وورغة والمزارة وأولاد يوسف والسّلامة وغيرهم من المناطق الأخرى. وإذا ما تواصل هذا الإهمال بهذه الكيفيّة ستفقد هذه المناطق تراثها وهوّيتها وثروتها الباطنيّة والطّبيعيّة في الآن نفسه. بناء على هذه الحقائق نتأكّد من صحّة الفرضيّة الثّانية القائلة بأنّ قصور الفكر التّنموي المحلّي والجهوي وفشل السّياسات التّنموية عامّة قد أدّى إلى تأخّر التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي.

إذا نظرنا إلى هذه الحقائق من زاوية التّحليل النّقدي، نتأكّد من أن تحقيق التّنمية الشّاملة في المناطق الرّيفيّة يكون حتما من خلال مراجعة الفكر التّنموي المتّبع في تونس والاستفادة من الثّروات المنسية أو المهدورة في المناطق الرّيفيّة، بالإضافة إلى التّعامل مع مسألة التّنمية من منطلق الفعل التّشاركي مع جميع الفاعلين الاجتماعيين دون إقصاء أو تهميش.

*** خاتمة**

حاولت هذه الدّراسة السّوسيولوجيّة- الميدانيّة الإجابة عن التّساؤلات الّتي ارتبطت بمقوّمات التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي. وقد توصّل البحث الميداني إلى أنّ المناطق الرّيفيّة هي خزّان لثروة بشريّة هامة يمكن استغلالها لتوفير اليد العاملة الّتي تستطيع تأمين الأمن الغذائي والزّراعي للرّيف وللمدينة معا. كما تمتلك هذه المناطق العديد من الثّروات الأخرى – الّتي تُعدّ من الركائز الأساسيّة لبناء تنمية ريفيّة شاملة

ومستدامة –، أبرزها: الموارد الطّبيعيّة، المواد الإنشائية– الباطنيّة والمعالم الأثريّة.

وباعتبار قيمة ما تمتلكه الأرياف، نستطيع القول بأنّ تونس قادرة على بناء نموذج لتنمية شاملة تحقّق الرّخاء والاستقرار الاجتماعيين وتخلق ديناميكيّة اقتصاديّة وسياحيّة تُخرج الاقتصاد الرّسمي من ركوده وانكماشه. ولا يمكن أن تتحقّق المشاريع التّنموية الشّاملة والمستدامة دون الاعتماد على فكر تنموي تشاركي يستمدّ قوّته ومشروعيته من العمل على إرساء عدالة مجاليّة بين الرّيف والمدينة ومحاولة القضاء على التّعقيدات الإداريّة ودعم المبادرات الرّامية إلى بعث المشاريع التّنموية في المناطق الرّيفيّة.

ختاما، مهما كانت قيمة هذه الدّراسة، وبقطع النّظر عن أهمّيّة النّتائج الّتي حقّقتها، فإنّها ولا شكّ لم تستوف بالبحث والتّحليل لمختلف الجوانب المحيطة بظاهرة التّنمية الرّيفيّة في بئر الحفي، ويعود السبب في ذلك إلى أنّها ظاهرة معقّدة مازال يلفّها بعض الغموض لا سيّما في طريقة اشتغالها وتحديد أهدافها والتّحديات الّتي تواجهها، على هذا الأساس يمكن لهذه الدّراسة أن تكون منطلقا بحثيّا لبحوث ودراسات ميدانيّة أخرى.

*** المراجع**

اولاً– المراجع العربيّة

البنك الدّولي، التّنمية الرّيفيّة، ورقة عمل قطاعيّة، إعداد مجموعة من خبراء البنك، ١٩٧٥، ص. ٠٤.

المعهد الوطني للإحصاء (٢٠٢٣).

رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، علم الاجتماع الرّيفي، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣، ص. ٢٣٣.

سمير محمّد جسين، تحليل المضمون، عالم الكتاب، ط ١، القاهرة، ١٩٨٣، ص. ٥٤.

محمود سامي نابي وآخرون، التّنمية الريفيّة والهجرة: تحليلات ورؤى للدول العربيّة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، قسم البرامج والسّياسات، ٢٠٢٥، ص. ٠٤.

مكتب العمل الدّولي، التّقرير الرّابع: تعزيز العمالة الرّيفيّة للحد من الفقر، ط ١، جنيف، ٢٠٠٨، ص. ص. ٣٦– ٤٣.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Crozier, Michel, Les relations de pouvoir dans un système d’organisation bureaucratique, Textes réunis par Pierre Birnbaum et François Chazel (Sociologie politique, t.1), Librairie Armand Colin, Paris, 1971, p.p. 15 – 24.

Guibert, Joë, Guy Jumel, Méthodologie des pratiques de terrain en sciences humaines et sociales, Édition : Armand Colin, Paris, 1997, p - p. 100-103.

Latouche, Serge, La déraison de la croissance : Les mythes de

l'économie et les mirages de développement, Albin Michel, Paris, 2003, p. 45.

Rabah Nabli , Les entrepreneurs tunisiens, La difficile émergence d'un nouvel acteur social, L'harmattan, 2008, p.5 - p.14.

Rostow, W.W, The Stages of Economic Growth: A Non-Communist Manifesto, Cambridge University Press, Cambridge, 1960, p-p. 4-15.

Zihisire, Modeste Muke, La recherche en sciences sociales et humaines, guide pratique, méthodologie et cas concrets, Paris, Harmattan, 2011, p. 25.